



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

التصوف المعاصر

(أفغانستان، السودان، المغرب، العراق)

الكتاب السابع والخمسون - سبتمبر (أيلول) 2011

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

الصوفية في إيران حضورها وعلاقتها بالتشيع والتصوف الشيوعي

محمد حسن فلاحية(*)

تمهيد:

لابد لمن يحاول معرفة الهوية الدينية للإيرانيين التوصل إلى حقيقة مضادها: أن التصوف والتشيع هما الركيزتان الرئيسيتان اللتان تشكلان هذه الهوية؛ المؤلفتان من أبعاد مترامية تشكل مبادئ التراث والثقافة والسياسة في إيران، وتهيمن هيمنة واسعة على الحياة الاجتماعية والفرديّة للإيرانيين فالتشيع هو المذهب الرسمي للبلاد فيما التصوف هو المذهب شبه الرسمي للجمهورية.

(*) كاتب وباحث إيراني، مقيم في أمريكا.

ساهم الفرس بشكل ملحوظ في تنمية التصوف وحصتهم في نشر التشيع لا يمكن نكرانها، فيصف هنري كوربن (Henry Corbin)، الباحث الفرنسي في مجال التصوف العلاقة بين الإيرانيين والتصوف قائلًا: «يبدو أن لكل إيراني جينات صوفية في دمه». من هنا يأخذ التصوف والتشيع بالبعد الإيراني حيزاً كبيراً من الاهتمام لدى الباحثين الذين ينوون دراسة علاقة التصوف بالتشيع.

إنّ إحدى أهم أصعب الأسئلة الإجابات التي تتطلب الإجابة تدور حول موضوع التصوف وعلاقته بالتشيع فهناك الكثير من التساؤلات التي تثيرها هذه العلاقة التي كان قد طرحها الكثير من المستشرقين وشكك معظمهم في جذور التصوف التي يرجعها البعض إلى الدين الإسلامي وإلى المذهب الشيعي تحديداً، ويستدلون بذلك لعدم وجود نصوص تاريخية تربط التصوف بالإسلام، من هذا المنطلق يذهب هؤلاء إلى أنّ التصوف سبق الإسلام بسنوات عدة، وأرجعها العدد الآخر من المختصين إلى فترات سبقت الإسلام والتشيع بقرون.

الذي يعيد للأذهان علاقة التصوف بالتشيع هو التفسير المتداول لدى الشيعة والصوفيين على حد سواء؛ وهو بأن للدين ظاهراً وباطناً، فالظاهر هو المتبادل من خلال النصوص والذي يفهمه العامة، وأما الباطن فهو عند أهل العلم الحقيقي والمراد بالعلم الحقيقي للنص الذي لا يفهمه ولا يعلمه إلا الأئمة أو الأولياء من هنا يرجع الكثير من الباحثين الإسلاميين التصوف إلى الهوية الإسلامية الشيعية فمن بين الباحثين الذين أرجعوا هذا الربط هو الباحث الإيراني في مجال التصوف والعرفان الدكتور حسين نصر، فيؤكد أنّ للتصوف علاقة لا يمكن نكرانها بالتراث الإسلامي، رغم أنّ تلك العلاقة واضحة وضوح الشمس، إلا أنّ هنالك نقاط غامضة تشوب هذه العلاقة، وهناك الكثير من علامات الاستفهام التي تلتف حول هذه العلاقة .

يصف الباحث حسين نصر علاقة التصوف بالدين الإسلامي ككل، والمذهبيين السُّني والشيعي، فيقول: «إنّ الدين الإسلامي الذي ينقسم في هيكلته إلى المذهب السُّني والمذهب الشيعي منذ زمن، ولأنّ هذه الحالة تشكل الهيكلية الأفقية للدين الإسلامي، فإنّ هنالك حالة أخرى ينقسم الدين الإسلامي إثرها إلى حالة عمودية

في تفسير النص إلى الباطن، الذي يستولي على التفسيرات في المذهب السني بما تحمل الكلمة من معنى. وأما البعد الظاهري والباطني فيلقي بظلاله على المذهب الشيعي بشكل عام». ولأن تطابق عقيدة التشيع مع معتقد التصوف في قضية العلم الباطني تبدو للمتابع في الوهلة الأولى كأنهما مذهب واحد لا فصل بينهما من هنا اقترن اسم التصوف بالتشيع⁽¹⁾.

ويشير حسين نصر إلى أن العلاقة بين التشيع والتصوف لا تقتصر على المعتقدات، وتقديس شخصية الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله. وحسب بل هنالك الكثير من الاشتراكات بين التشيع والتصوف إلا أن ذلك لا يحتم علينا اعتبار الاثنين مذهباً واحداً أو فرعاً من الآخر، إلا أننا يمكن أن ننظر إلى التشيع على أنه شريعة مثل بقية المذاهب الإسلامية ولكن التصوف طريقة ويفتقر للشريعة أو الفقه⁽²⁾.

كما يشير نصر إلى أن التقريب بين مراكز دينية تابعة للتشيع والتصوف بدأ في القرن التاسع؛ من قبل أشخاص مثل حافظ رجب برسي مؤلف كتاب «مشارك الأنوار»، وابن أبي جمهور صاحب كتاب «المجلي»، وكمال الدين حسين بن علي الملقب بواعظ كاشفي، الذي يعتبر مؤلفاً للكثير من الكتب حول العقائد الشيعية والصوفية مثل «روضة الشهداء». كما أننا لا يمكن انكار الشد والجذب بين ابن عربي من جهة، والتشيع من جهة أخرى، وما حصل من دمج لأرائه والعرفان الشيعي كما أن هنالك عدداً كبيراً للصوفيين الشيعة، الذين لديهم إسهامات في هذا الإطار وهم: سعد الدين حمويه، عبدالرزاق كاشاني، ابن تركه سيد حيدر آملی، ابن أبي جمهوري، وملا صدرا الذي تأثر كثيراً بفكر وآراء ابن عربي. أضف إلى ذلك بعض الحركات الشيعية الغالية التي ارتبط اسمها بالتصوف أمثال «الحروفيون، المشعشعون وغيرهم من الحركات التي ترعرعت في بيئة شيعية صرفة ولعبت دوراً ريادياً في النهضة الشيعية الصوفية».

(1) الدكتور حسين نصر، علاقة التشيع بالتصوف، كتاب:

(Living Sufism). Nasr. Seyyed Hossein Living Sufism. London. Unwin. Paperbacks. 1980 / pp 105 89

(2) المصدر نفسه.

في إيران اليوم هنالك ثلاثة فرق مختلفة تنتمي للصوفية، الأولى متشكلة من الصوفيين وهي سلسلة «نعمت الله» أو «الذهبية»، وهي فرقة قريبة للتصوف في المذهب السني، لكن معتقداتها الرئيسية شيعية. والسلسلة الصوفية الثانية التي تعتبر أقل تشكلاً، لكن لديها أديرة وصوامع كما لديها شيوخ ووجهاء الطريقة في إيران وهي تعرف باسم عام «درويش»، أي «صوفي». وأما الثالثة، التي ليس لديها شيوخ يدعون إليها لكن أتباعها يعرفون أنفسهم على أنهم أتباع النبي خضر عليه السلام أو الطريقة «الأويسية»، كما يجذب أن يسمى هؤلاء أنفسهم بهذا الاسم .

التصوف في إيران

اقترن التصوف الإيراني في التاريخ بالثورات ومناهضة الحكم، فحتى اليوم يُعرف التراث الإيراني التصوف بـ «عيار أو لوطي» نسبة لما قام به هؤلاء من ثورات ومساندة للمظلوم، ومواقف مناهضة للحكومات. فقد أخذ المد الصوفي في النمو في عهد السلالة التيمورية، واستمر حتى عهد الصفوية التي أسست للحكم الصوفي الشيعي بصورة رسمية لأول مرة في تاريخ إيران السياسي، فقد مر التصوف الشيعي بفترات من الثورات الاجتماعية، حيث ظهر الشيخ خليفة المازندراني العام 736 هـ، كما حصل في ثورة الشيخ حسن الجوري العام 743 هـ، والتي أدت لثورة «سربدارن» في خراسان، وهناك ثورة لسادات مازندران شمال إيران قادها مير قوام الدين مرعشي، والثورة الحروفية للشيخ فضل الله حروي في أسترابادي ضد الحكم التيموري.

كما كان للتصوف صفة العرفان والحكمة، رغم اختلاف الاثنين في المنهج والأدوات، فقد ظهر فلاسفة كبار ربطوا بين الفكر والتصوف على أساس النهج العرفاني من أمثال: شهاب الدين عمر سهروردي، وشيخ سعد الدين حمويه، وصدر الدين قونوي، وملا صدرا، فتعتبر مؤلفات هؤلاء في العرفان الصوفي مصدراً وركيزة للعرفان الشيعي، وقد استمر الوضع الصوفي في الازدهار حتى العهد الصفوي ثم واجه الانحطاط في العصر القجري.

يرى الدكتور عبد الحسين زرین كوب الباحث والمؤرخ الإيراني، المختص بالتصوف والتشيع الإيراني: أن اسم التصوف ارتبط في إيران قبل الإسلام بسبب

وجود أديان قديمة قبل وبعد الإسلام؛ مثل «الزرادشتية»، «المانوية»، «المزدكية»، وهي نابعة من الفكر الصوفي والعرفاني إضافة إلى الفكر الفلسفي، ومن هنا باتت إيران بعد الإسلام مهد التصوف الذي أصبح يطلق عليه التصوف الإسلامي، أو التصوف الشيعي. وقد أثرت وتأثرت أديان مثل «الصابئة» وهي تنتشر في الأحواز بالفكر المانوي ذو التوجه الصوفي، وكذلك المجوسية وهي فكرة عرفانية فارسية قديمة مرتبطة بالتصوف تركت أثراً بالغاً على التشيع الذي وصلنا اليوم بحلته الممزوجة بالتصوف⁽³⁾.

علاقة التشيع بالتصوف في إيران

يعتبر سعد الدين محمد بن حسن حمويه الجويني، المتوفى السنة 650 ق، مؤلف كتاب «سجنج الأرواح» و «محبوب الأولياء»، ونجله صدرالدين إبراهيم بن سعد الدين، المتوفى السنة 721 ق، مؤلف كتاب «فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين»، من بين أكثر الشخصيات على مر تاريخ التصوف الشيعي، الذين لعبوا دوراً هاماً في إنشاء هذا النوع من التصوف الذي يوصف بالشيعي. ومن بين الفرق الشيعية التي كانت ذات توجه صوفي أكثر من غيرها هي: الفرقة الباطنية، والإسماعيلية والغوالي الشيعية الأخرى في الشيعة الإثني عشرية.

إن محاولة الربط الوثيق بين التصوف والتشيع على أساس التشابه؛ فيستند فيه هؤلاء إلى التشابه بين الاثنتين في الإمامة والقطبية، العصمة والحفظ، المهودية، زيارة الأولياء فقد طرح أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام» فكرة المهودية، موظفاً إياها في خدمة الفكر الصوفي، كما ذهب كامل مصطفى الشبيبي في كتابه «الصلة بين التصوف والتشيع»، إلى ربط التصوف بفكرة العصمة والشفاعة وزيارة قبور الأولياء عند الشيعة⁽⁴⁾.

يرى معظم الباحثين في قضية العلاقة بين التصوف والتشيع - ويخصون بالذكر الشيعة الإثني عشرية- أن الاثنتين ينبعان من أصل واحد تقريباً، ويهدفان

(3) تصوف إيراني در منظر تاريخي أن، عبد الحسين زرينكوب، ص59.

(4) كامل مصطفى الشبيبي، الكتاب الصلة بين التصوف والتشيع .

في النهاية إلى غاية واحدة، ويشتركان في عامة العقائد والطقوس التي ينتحلها كل منهما، لكن الباحث الإيراني سعيد نفيسي يرى خلاف ذلك في كتابه «منبع التصوف في إيران» بالفارسية (سرجشمه تصوف در إيران)⁽⁵⁾.

لقد اشار الباحث المذكور إلى أنّ المعتقدات البوذية، التي دخلت إيران قبل الإسلام، امتزجت بالمعتقد الصوفي بعد دخول الإسلام إلى إيران، فكانت الشعبية الحركة المناهضة لفتح الإسلام لإيران، وهي حركة صوفية يقودها الفرس، فظهرت هذه الحركة متأثرة بالنهج الفكري للتصوف، وهي تحت تأثير الفكر البوذي فكان رواد التصوف آنذاك جماعة تعرف بـ«صاحب الزنج»، أتباع علي بن محمد، إذ يرى الباحث أنّ هذا النمط من التفكير قد دخل الفكر الصوفي زمن الحكم الساساني في العراق، وشبه الجزيرة العربية بصورة مجموعة من الزهاد والنسك. وأما بالنسبة لمرحلة ما بعد الإسلام فقد قام هؤلاء بتشديد صوامع ودير لهم في تلك البلاد، ومارسوا سلوكاً ينطوي على ترك الدنيا والزهد، وقد أطلق عليهم صفة المتصوفة منذ ذلك الوقت. لكن للصوفية الإيرانية لونها الخاص. فكانت القيم الفارسية تحكم هذا النوع من التصوف على خلاف التصوف العربي، الذي كان يهيمن عليه النهج اليوناني (الأفلاطونيون الجدد أي البلوتون وحتى الإسرائيليات). فمن هنا يجب أن نقسم التصوف إلى ثلاثة مناهج وهي: تصوف العراق والجزيرة العربية (يتبع هذا النهج تعاليم النصارى النسطوريين واليعقوبيين والصابئة)، والتصوف الإيراني (يتأثر بتعاليم التصوف الهندي الزرادشتي والبوذي)، والتصوف المصري والشامي والمغرب العربي والأندلسي (يتبع تعاليم الأفلاطونيين وفلاسفة المدرسة الإسكندرانية)⁽⁶⁾.

إن اهتمام بحثنا هو التصوف الإيراني، الذي يمكننا أن نطلق عليه تسمية التصوف الشرقي، ومثلما تقدم يُعدّ من تراث البوذية القديمة بمزيج مع الدين الإسلامي، فكانت منطقة بلخ منبع التصوف الإيراني، فمن رواد هذا التصوف هناك: أبو اسحق إبراهيم بن أدهم بن سليمان بن منصور البلخي، المتوفى السنة

(5) سعيد نفيسي، منبع التصوف في إيران، (بالفارسية (سرجشمه تصوف در إيران)ص 95.

(6) المصدر نفسه.

161 أو 162 أو 166 هجرية، وأبوعلى شقيق بن إبراهيم البلخي، المتوفى السنة 174 هجرية، وأبوعبد الرحمن حاتم بن عنوان الأصم الملقب بحاتم الأصم المتوفى السنة 237 هجرية، والتصوف الذي أبدعه هؤلاء هو مزيج من الفكر المانوي والبوذي بالنهج الإسلامي الشيعي.

في حين يعتقد البعض خلاف ما ذهب إليه الباحث سعيد نفيسي، وهو أن التصوف الإيراني يختلف كثيراً عن التصوف الإسلامي، بسبب ما يوجد من خلاف كبير في المعتقدات والتعاليم، التي يتبناها الأخير، فقد جاء في كتاب «كشف المحجوب» لجلالي الهويجري، وهو من أوائل الكتب الصوفية التي تعتبر أن التصوف الإيراني يعود إلى الفكر الفارسي القديم، ويسرد الكتاب الخصائص التي يتمتع بها الفكر الصوفي الإيراني، وهذا ما يفتقر إليه الفكر الصوفي الإسلامي، كما يؤكد صاحب الكتاب أنه يمكننا التفريق بين التصوف الإيراني والإسلامي خلال ما ذكر من خصائص لكل من الفرقتين.

أما كتاب «حكمة الإشراق» للسهروردي ففيه ما يظهر من خلاف بين التصوف الشيعي، أو ما يعرف بالتصوف الإيراني، والتصوف الإسلامي ففي هذا الإطار يصف غولد سيهر المستشرق المعروف في كتابه «الزهد والتصوف في الإسلام»⁽⁷⁾ فيشير إلى هذا الخلاف بقوله: «يتصف الزهد والتصوف الإسلامي بصفات خاصة، حيث لا يمكن دمجها ببقية أشكال التصوف مثل التصوف الإيراني، حيث لا يمكن أن نقوم بتعريف أصحاب الصفا على سبيل المثال على أنها مدرسة إيرانية كما هو الحال بالنسبة لمدرسة «الشيخ أبوسعيد» الصوفية الإيرانية ودمجها ببقية المدارس الصوفية فلا توجد مقارنة بينهما كما لا مقارنة بين المدرسة الإسلامية والإيرانية للتصوف وذلك بسبب ما للاثنتين من صفات مختلفة».

كما أن البعض يشير إلى الفرق الشاسع بين التصوف من جهة والعرفان من جهة أخرى، ويصر الكثير من الباحثين الشيعة في إيران، من بينهم نفيسي، على عدم وجود علاقة بين التصوف والعرفان، لأن العرفان يخص النواحي الفكرية،

(7) غولد سيهر «المستشرق المعروف في كتابه «الزهد والتصوف في الإسلام»

بينما التصوف يختص بالناحية الاجتماعية، كما أن العرفان نظري قائم على الفكر والكشف الإشراقي، أما التصوف فعملي قائم على التصفية واتباع الطريقة، وهذا ما لا يقبله البعض من الباحثين.

أما الدكتور كامل مصطفى الشيبلي، وهو يصل من خلال أسماء تطلق على التصوف بصلتها بالتشيع، فيشير في كتابه «الصلة بين التصوف والتشيع» إلى أن كلمة «صوفي»، التي قطع الباحثون المحدثون بصدورها عن الصوف قد صارت كذلك. لأن الصوف قد عم زهاد الكوفة نفسها حيث ظهرت هذه الكلمة أولاً. وقد اشتق التصوف من الصوف. ورأينا أن لبس الصوف قد نبع من بيئة الكوفة، التي عرف تمسكها بالتشيع، ومعارضتها، وحرابها بالسيف أو بالقول أو بالقلب لمن نكل بالأئمة العلويين. وذلك -إذا صح- يقطع بأن التصوف في أصوله الأولى كان متصلاً بالتشيع». يرى البعض من الباحثين، في مجال المذهب الشيعي، أنه نظراً لمعارضة أئمة الشيعة للتصوف الإيراني لذلك لم يتمكن التصوف من التغلغل في التشيع، ويستند هؤلاء بقولهم إلى كلام مأثور عن عبد الله الأنصاري حيث يقول: «من بين ألفي صوفي تعرفت عليهم، لم يكن من بين هؤلاء سوى اثنين من أتباع المذهب الرافضي (الشيعي)». لكن بعد مجيء الحكومة الصفوية في إيران قام الصفويون - وهم يؤمنون بالمذهب الصوفي للعمل على تركيز دولتهم - بتركيز على التشيع والتصوف في الوق نفسه. قال في هذا الإطار المؤرخ الإيراني عبد الحسين زرین كوب: «أنه قد «عمل الحكم الصفوي على تركيز حكمه من خلال الاستناد على التشيع، وإبقاء التصوف الركيذة الثانية في حكمهم، وذلك عبر حكمهم الثوري الذي امتزج بالتشيع من ناحية، وبالصوف من ناحية أخرى أثناء فترة حكمهم كلها، وبعد توسع الحكم الصفوي (حكموا البلاد من 1501 إلى 1722 ميلادية) نحو أقاليم مجاورة وما تلاه من انتشار للمذهب الشيعي جراء ذلك التوسع في مناطق مجاورة دخلت الفرق الصفوية في المذهب الشيعي، وأعلنت تشيعها رغم مواقف شاه عباس المناهضة للتصوف، والتي عمل على إضعاف التصوف وتعزيز التشيع لكن التصوف بقي ركيذة من ركائز الحكم الشيعي في إيران»⁽⁸⁾.

(8) كوب عبد الحسين. التصوف في إيران، انتشارات أمير كبير. الطبعة الخامسة 1369 ص 230.

على رغم مما قيل عن علاقة التشيع بالتصوف إلا أن العديد من الباحثين، الذين يصرون على براءة التشيع من التصوف، يلقون اللوم في ما حصل على بعض الفرق الغالية من الشيعة، والتي تحسب على هذا المذهب، والتي كان قد أسسها أشخاص قد أدخلوا التصوف إلى البلاد عبر الهند من بينهم حسين بن منصور الحلاج، وأنه مؤسس إحدى الفرق الصوفية، أو بابا يادغار وهو أحد رموز فرقة «أهل الحق».

هنالك العديد من التأثيرات الصوفية على التشيع قبل مجيء الصفويين؛ فكان لشيوخ الطريقة الصفوية في عهد الحكام المغول وما تلاهم من ممالك مثل الإيلخانية والفترة التيمورية.

يرى الباحث في الفرق الصوفية يوسف متولي، في مجلة «الأبحاث الصوفية والشيعة»، أن الحكم الصفوي في إيران يعتبر الأول من نوعه الذي أسس حكومة توفق بين المذهب الشيعي والصوفي؛ فقد كان العنصران يلعبان دوراً هاماً في مختلف الأصعدة العسكرية والاقتصادية والعقائدية، فالتشيع الايدولوجيا الرئيسية في الحكم الصفوي. هذا الأمر أحدث تغييراً جذرياً في المجتمع الإيراني آنذاك، حيث دخل علماء شيعة من جبل عامل بلبان إيران، لينظروا للحكم الجديد في إيران. أما بشأن البعد الثاني في الحكم، ألا وهو البعد الصوفي، الذي يعتبر الركيزة الثانية للسلطين الصفويين في الحكم، فالتصوف دور هام في الحياة الصفوية لأن الحكام الصفويين كانوا صوفيين قبل أن يصبحوا مؤدجين بالعبقيدة الشيعية رغم أن الحكم الصفوي لم يكن على وتيرة واحدة في التعامل مع التصوف لكن لا يمكننا تجاهل دوره في أبعاد الحكم الصفوي⁽⁹⁾.

(9) Study on shiism and Sufism places in safavids policy.

الكاتب: يوسف متولي حقيقي العدد 11 مجلة أبحاث تاريخية تصدر بالإنجليزية.

ملخص البحث:

Safavids were the first Iran's government (kingdom) who could make an important and useful combination between shiism and safism and set up their government on it. These two important elements had a determining role in different political issues such as military, economic, religious and in all their government aspects shiism as the most important thought of safavids government made wide changes in Iran society. Although safavids kings religious behaviors with shiism and the scholars weren't the same. Like dismissal of fagrap of Iranian shiit scholars and invitation of scholars jibah Amel in Lebanon. Jib ALAMEL scholars tried to set up the ideas of shiit government in Iran. But

بعد زوال الحكم الصفوي في إيران ازدهر الفكر الصوفي أثناء الحكم الفجاريين، الذين حكموا إيران حوالي مائتي عام (1779-1924 م) فقد ظهرت العديد من الفرق الصوفية التي هي أساساً ممزوجة بالمذهب الشيعي، في هذه الفترة تحديداً، فمن أهم الفرق الصوفية التي نشطت في هذه الفترة هي: «نعمت الله غونابادي، صفي عيشاهي، مونس عيشاهي، منورعيشاهي، كوثر عيشاهي، أويسية و غيرها من الفرق الصوفية التي تعتبر مزيجاً بين الفكر الصوفي القديم والفكر الإسلامي كما أحيى البعض من الصوفيين فرقاً كانت مندثرة مثل: الـ «خاكسارية، ذهبية والقادرية». و ظهرت فرق جديدة وهي عرفت فيما بعد على أنها أديان لكنها في الواقع طوائف صوفية ممزوجة بالمذهب الشيعي من أمثال الـ «البابية و البهائية»⁽¹⁰⁾.

في تلك الحقبة ظهرت في إقليم الأحواز حركة تدعى «المشعشعية»، تأسست على يد محمد بن فلاح (866 هـ)، كان فلاح في بداية المطاف ذو توجهات صوفية ممزوجة بالفكر الشيعي الغالي، وبعد فترة تمكن من تسييس حركته من خلال تأسيس دولة المشعشعية التي حكمت إقليم الأحواز، وجنوب العراق لفترة من الزمن لكنها أسقطت على يد مؤسس الصوفية شاه إسماعيل الصفوي»⁽¹¹⁾.

يشير الدكتور حاج نورعلي تابنده، وهو من رموز السلسلة الغونابادية بإيران، في الوقت الراهن، في كتاب له تحت عنوان «التشيع والتصوف والعرفان» إلى أن

soon they understood that the main point in their invitation was to firm the political life of shi it kings.

Though they never stopped trying to gain control over political power and they could gain power during some weak safaavid kings.

The net very important element in safaavid king power after shi ism was Sufism. Before safaavids use shi ism for their political aims they were sufi. And after that they tried to gain material power through Sufism thoughts and it got faster when timur (goorcani) sat free a group of ottoman (osmanlis) slaves to khoeh ali. Safoavid sufies whom absolutely obeyed their masters were the most important weapon for safaavids in gaining power. Although some times after safoavid dynasty sat up, the ill__use of some suflism radical thought caused tensions between safoavid kings and sufids. To solve and decrease these tensions safoavid rulers decreased their connections with masters and that in long term causes the weakness of sufids and consequently caused the weakness of safoavids

(10) هاشم معروف الحسني، التصوف والتشيع، آستان قدس رضوي، الطبعة الثانية ص 113.

(11) 89-487: شوشتری، 396-395/2: كسروي، 51-15: مزائوي، 67-71

هنالك الكثير من الخصوصية للشيعة والعرفان والتصوف، يفرق ما بينها ويجعل لكل طريقته الخاصة بالنظر للحياة والأحكام، فالتصوف والتشيع والعرفان لهما مسالك متعددة لا ينبغي علينا دمجها ببعض».

وعلى الرغم من ذلك يؤكد الباحثون أنّ العرفان الإسلامي يطلق عليه عرفاناً عندما يتناول الشؤون الثقافية والنظرية للمسائل الحياتية؛ وعندما يتطرق للشؤون الاجتماعية يطلق عليه تصوفاً، والعرفان والتصوف ليسا شُعْباً من الدين الإسلامي بل يتمتعان باستقلالية عنه، حسبما يشير له الباحثون وكلاهما موجود عند كل الطوائف والمذاهب الإسلامية. ويرى العارفون بأن هنالك تشابهاً بين التصوف والتشيع لا يمكن نكرانه، يرى الكاتب وجه شبه كبير بين مؤلفات الشيعة والمتصوفة ويذكر نماذج كثيرة لمثل هذه التشابهات بين الشيعة والصوفية⁽¹²⁾.

نجح الفكر الاثنى عشري المعاصر في إعادة ترسيم الصوفية الأولى، وذلك عبر نسخة معدلة من التشيع والتصوف لتمير مشروعهم إلى أكبر نطاق في العالم الإسلامي، فيرى الدكتور علي شريعتي في كتاب «الإنسان والإسلام»: «أنّ كَوْن الصوفيون خليطاً كيمائياً واحداً من ثلاث مخلوطات أو ثلاثة عناصر خاصة، والعناصر الثلاثة هي: السلطنة والقومية والتصوف، ركبوها بعضها مع بعض وخلطوها، وأسدلوا عليها ستاراً باسم التشيع». رغم أن الصوفيون ليسوا بفرس فهم من أصول كردية اختاروا التركية ومن ثم الفارسية كلغة رسمية لحكومتهم ولم يكونوا في البداية شيعة بل تحولوا إلى الشيعة ولكنهم صوفيون بامتياز⁽¹³⁾.

وقد شهدت إيران في السنوات الأخيرة إقبالاً واسعاً على التصوف والعرفان، وفي الوقت نفسه ضاعفت الحكومة الإيرانية مواجهتها للحركة الصوفية، فيرى الخبراء الدينين في إيران أنّ في التصوف مواصفات دفعت الإيرانيين للإقبال عليه مما أثار حفيظة السلطات الإيرانية؛ وجعلت تحاربه لا لسبب ديني بل لأسباب سياسية بحتة، فهنالك عدة أسباب وراء انتشار هذه الظاهرة، فيرى الباحث الديني

(12) التشابه بين التصوف والتشيع عند العرفان. الدكتور شهرام بازوكي

(13) الدكتور علي شريعتي في كتاب «الإنسان والإسلام» ص 120.

في جامعة مفيد في قم محمد تقى فاضل ميبد في حديث له مع «بي بي سي فارسي»: أن أتباع الصوفية في إيران وتحديدًا دراويش غونابادي هم شيعة، ولا يختلفون سوى بالفروع مع المذهب الشيعي.

وحول الإقبال الكبير نحو التصوف في إيران يرى أحد رموز الدراويش الغونابادية في إيران سيد مصطفى آزمايش: أن ذلك يعود إلى عدم رغبة شديدة من قبل الإيرانيين حيال الإسلام السياسي، الذي يحكم إيران طيلة العقود المنصرمة، وما للتصوف من قدرة معنوية جذابة قادرة على جذب الكثير من أتباع الشيعة نحوها. ويرى الباحث الإيراني في القضايا الدينية محسن كديور: أن سبب الإقبال الشديد نحو التصوف في إيران يعود أساساً إلى قمع السلطات المفرط للحركات السياسية. من هنا وبسبب ما للتصوف والعرفان من حضور قديم بين الإيرانيين، فقد استطاع أن يجذب إليه الكثيرين الذين أحبطتهم السياسات الإيرانية الحالية.

وفي إطار علاقة التشيع بالتصوف يقول ابن خلدون في مقدمته: «جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد، أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد». وهكذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو نوع من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما يقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم. فانظر كيف سرقت طباع هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة ودانوا به، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب، كما قال الشيعة في النقباء، حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجلوه أصلاً لطريقتهم ونحلتهم رفعوه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلا فعلي رضي الله عنه، لم يختص بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لباس ولا رجال، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أزهدي الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه على الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة... وسموه قطباً لمدار المعرفة عليه وجعلوا الأبدال كالنقباء مبالغة في التشبيه. فتأمل ذلك. يشهد بذلك كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنوا به كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات وإنما مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة

ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق»⁽¹⁴⁾.

الفرق الصوفية الشيعية في إيران

هنالك فرق صوفية عديدة لها علاقة قريبة بالشيعة، ويرى البعض أن المذاهب الصوفية تختص بالعالم الإسلامي، فلا يوجد صوفي غير مسلم مطلقاً، لكن التصوف أيضاً لا يخص مذهب إسلامي دون سواه، فهناك صوفي شيعي وصوفي سني، فحسبما يذكر الباحثون فإن عدد الصوفيين في العالم يبلغ 450 مليون نسمة ومنهم 370 مليون صوفي سني و20 مليون صوفي شيعي. الفرق الشيعية التي توصف بالتصوف الشيعي هي: النوربخشية (أتباع سيد محمد نوربخش)، شاه نعمت اللهيية، نعمت الله ولي وهي من أكبر الفروع الشيعية المتصوفة في إيران، وتتشعب من التصوف الغونابادي الشيعي والذهبية وغيرها. هنالك علاقات قريبة بين التصوف والتسنن، من هنا يتهم النظام الشيعي في إيران معظم الفرق المتصوفة بالتسنن، ويحاكم قادتها، ويمنع نشاطها بسبب مبدئها الفكري القائل بفصل الدين عن السياسة، ولديها مواقف مناوئة لفكرة ولي الفقيه، والحكم الحالي في إيران. وهذه قائمة بأسماء الفرق الصوفية الشيعة في إيران:

1. نعمت الله سلطان عليشاهي (گنابادي).

2. نعمت الله صفي عليشاهي

3. نعمت الله مونس عليشاهي (نوربخشية)

4. نعمت الله كوثر عليشاهي

5. نعمت الله منور عليشاهي

6. نعمت الله نور عليشاهي

(14) مقدمة ابن خلدون ص 875-877.

7. ذهبية احمدية

8. ذهبية كبروية

9. ذهبية سديرية

10. ذهبية مهدوية

11. خاكسارية نورايي

12. خاكسارية عجم

13. خاكسارية معصوم عليشاهي

14. خاكسارية جلالتي

15. أويسية

16. كميلية

17. جشتية

18. مهدوية جمنامية

19. نصيرية (علي إلهي - أهل حق)

20. الإسماعيلية (الباطنية)

21. الكيهانية

لكن هناك فرق بين أتباع المذاهب الصوفية ورؤيتها لبعضها بعضاً، لأنّ لكل فرقة صوفية شيعية مبدأ (الزيدية، والكيسانية والغالية والصباحية والناصرية و

الإمامية اثني عشرية) وهي فرق متصوفة شيعية تنتشر في إيران، وتؤمن بمبادئ ورؤى سياسية وعقائدية مختلفة عن بعضها الآخر، ولديها طقوس دينية مختلفة، لكن معظم المتصوفين غير المغالين، الذين يكفرون السُّنة وهم الإمامية المغالون والغلاة من الزيدية، يتصادمون فكرياً مع السُّنة وبعض الفرق المتصوفة، التي تتسامح مع السنة وبقية الطوائف الإسلامية، فهناك تقارب بين هؤلاء المنتمين للفرق الصوفية بتعدد مشاربها.

وفي فترات متلاحقة تشعب البعض من الفرق الصوفية، فقد ظهرت من الطريقة «النعمة اللهيّة» (834 ق) عدد من الطرق الصوفية أمثال: «النوربخشية و الكبرى والحروفية» حيث كان البعض من الباحثين يعتبر الفرقة على أنها من الفرق الشيعية بما للكلمة من معنى⁽¹⁵⁾. إضافة إلى الطريقة الكبرى، وميولها الشيعية، ظهرت فرق صوفية أخرى لديها التوجه الشيعي نفسه. ومن بين هذه الفرق فرقة «سربداران»، وهم أتباع الشيخ خليفة (726 ق)، وحسن جوري (743 ق)، فقد بدأت هذه الانتفاضات الجماهيرية 738 ق / 1337 م، والثورية المركزة وأحدثت حكومات محلية في خراسان دامت خمسين عاماً⁽¹⁶⁾.

وتنتشر الفرق المتصوفة في جميع أنحاء إيران من كردستان إلى مشهد وطهران وبروجرد وكرمانشاه؛ ولديها أتباع ونشاطات كثيرة ودير و«خانقاه»، ومؤسسات في مختلف أنحاء إيران والعالم، رغم أن البعض من الفرق التي لا تدين بالولاء للنظام الشيعي الإيراني بعض الاحتكاكات، ولا يسمح لها بالنشاط العلني إلا أنها ارتأت أن تعمل بشكل سري.

فقد امتزج التصوف أو العرفان بجميع أنواع الحياة العامة في إيران، وللعرفان حضور في الفن والموسيقى والشعر والأفلام والمسرح والكتب والأشكال المستوحاة في العمران والبناء؛ هي جميعها تنتمي للعرفان فإن جميع مناحي الحياة خاضعة بشكل أو بآخر للتصوف والعرفان في إيران؛ مما يدفع المرء للتصور في أول وهلة عند دراسة

(15) راجع: فرزاق 587-607؛ بازوكي 457-463.

(16) الرجوع: عبدالرزاق 144-154، ميرخواند 994-1007، پتروشفسكي 31-5.

التصوف في إيران أن التصوف والعرفان بالفعل هو الذي يحكم هذا البلد منذ قديم الزمن.. نأتي هنا ببحث كبيريات المتصوفة الشيعية في إيران وهي: والمشعشعية والصفوية لما لهما من أثر بليغ على تأسيس التصوف الشيعي في إيران.

المشعشعية

يقوم مؤلف كتاب «تاريخ الغياثي»، وهو عبدالله بن فتح الله البغدادي الملقب بغياث، بسرد سيرة حياة محمد بن فلاح المشعشعي (العام 901 للهجرة)، وهو مؤسس المشعشعية، وهي حكومة شيعية ذات صبغة صوفية، يمتد نفوذها من الأحواز جنوب غرب إيران إلى المناطق الجنوبية من العراق، وهناك الكثير من النهج الفكري لمؤسس المشعشعية في كتابه «كلام المهدي»، فلاشك أن هذا الكتاب يظهر الرابط الفكري بين المؤسس الأول للحركة، والذي يعتقد أنه من غلاة الشيعية، والفكر الصوفي الشيعي في إيران، فينظر صاحب الكتاب، كما الشيعة الغلاة والصوفيين في إيران، إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على أنه الخليفة الأحق للنبي، وأن السنة لا يدخلون الجنة بسبب رفضهم للولاية والإمامة⁽¹⁷⁾. ويعتبر محمد بن فلاح نفسه أنه المهدي والمقتدى ومظهر الكرامات، وهي رؤى شيعية غالية تتطابق مع الفكر الصوفي (علي الله - النصيري) الموجود بالمنطقة الشمالية للأحواز (كرمانشاه)، مما يعني دمج الشيعة بالصوفية حدث لأول مرة في الحكومة المشعشعية قبل حدوث ذلك عند الصفوية⁽¹⁸⁾.

إن الظروف التي ظهرت فيها الحركة المشعشعية تشبه إلى حد كبير الظروف التي أنشئت فيها الحركة الصوفية النوربخشية؛ فقد كان مؤسسها محمد بن فلاح شيعياً، ويؤمن بأن الكشف أخبره على أنه من آل البيت، وأنه المهدي المنتظر، وكان معاصراً لنور بخش، كثر أتباعه بسبب مهديته ونسبه (المدعى)، وخوارقه (التشعشع)، وكان أكثر أتباعه في الأصل من السنة، الذين تحولوا إلى شيعة إتباعاً

(17) سيد محمد بن فلاح، ورق 70 كلام المهدي.

(18) إحدى أهم الأبحاث حول الحكومة المشعشعية قام بها: «جاسم حسن شبر» وهي: 1. تاريخ المشعشعيين و تراجم أعلامهم: النجف، 1965م. 2. مؤسس الدولة المشعشعية وأغاباه في عربستان و خارجها، النجف، 1972م. يتناول سبر البعض من معتقدات المشعشعيين التي جاءت في كتاب المؤسس محمد بن فلاح في كتابه ((كلام المهدي)) نقلاً عن «أحمد كسروي تبريزي»

لشيخهم، حتى استطاع أن يؤسس بهم دولة في الأحواز، عاصمتها (الحويزة)، عرفت بالدولة المشعشعية في القرن التاسع للهجرة.

يقول المؤرخون: دخلت حركة المشعشعية في حروب تحت تأثير قوة شيخهم المغناطيسية (التشعشع)، فلم يكونوا يشعرون بما حولهم، بل كانوا يقدمون على خوض المعارك في حال من الذهول والغيبة عن الحس وهذا المعتقد ترسخ لدى المشعشعيين من خلال التأثير الصوفي عليهم عبر مجاورتهم الجغرافية للفرق الصوفية الأخرى.

وقد تأسست حركة المشعشعيين على أساس التصوف الشيعي، حتى وصف محمد بن فلاح بأنه كان جامعاً بين المعقول والمنقول، وصوفياً صاحب رياضة ومكاشفة وتصوف، وأنه انتقل من التصوف إلى التشيع، فشكله بأشكال شيعية، ولقد كان شيعياً قبل تصوفه. تشيع على يد أستاذه وأبي زوجته الشيخ أحمد بن فهد الحلبي، وقد تخاصم في ما بعد. وذهب محمد بن فلاح إلى القبائل التي كانت تسكن قرب واسط جنوب العراق، وأفتى ابن فهد بقتله، وأرسل رسولاً إلى أمير القبائل التي كان ابن فلاح بينها، يطلب إليه القبض عليه، فلم ينقذ ابن فلاح إلا قسمه بأنه سني صوفي، وبأن ابن فهد وأتباعه شيعة ومن أعدائه. إن هذه الحادثة تظهر أن التشيع في جنوب العراق والغرب الأوسط من إيران كان حتى ذلك الوقت قليلاً، وكانت الأكثرية الساحقة من السنة. بعد هذه الحادثة انتقل ابن فلاح إلى الأحواز، وهناك أسس طريقتة الصوفية وشيخ أتباعه، ثم أعلن مهاديته (840هـ)، وجمع أموالاً كثيرة من قطع الطرق على الحجاج وغيرهم، ثم أعلن نفسه ملكاً، وبقيت مملكته حتى اجتاحتها الصفويون في عهد الشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الحكومة الصفوية في إيران.

الصفوية

قام الشيخ صفي الدين الأردبيلي (1252-1334م) بتأسيس طريقتة الصوفية في أردبيل، شمال غرب إيران (أذربيجان) العام 1300م. حيث أصبحت في ما بعد أردبيل عاصمة دينية ثم سياسية للحكومة الصفوية، وقد تحول أبناء هذه الطائفة، منذ منتصف القرن الخامس عشر إلى المذهب الشيعي. وقد استطاعت الحكومة

الصفوية، في ما بعد، إنشاء تنظيم سياسي وتكوين وحدات خاصة من الجيش، الذي عُرف بالقرزل باش أو أصحاب القبعات الحمراء نسبة إلى التاج أو العمامة الحمراء التي يرتديها أتباع الطريقة الصفوية؛ وهم دراويش صفويون، وترتبط العمامة باثني عشرة لفة تلميحاً للأئمة الإثني عشر لدى الشيعة.

بدأت الدعوة الصفوية ذات التوجه الشيعي الاثني عشري في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، واتخذت الصوفية كمنهج عملي، بينما الشيعة مذهبها العقائدي، وذلك لمواجهة الحكم العثماني السني، العدو اللدود للصفويين في الحدود الغربية بهدف توظيف التصوف للتمدد في العالم السني لما للتصوف من حضور في الوسط السني؛ واعتبره السلاطين الصفويين جسراً لهم للوصول إلى العالم الآخر. فيرى البعض من المؤرخين أن الزعماء الصفويين كانوا في الأصل سكان ديار بكر، وهم على التصوف ولم يكونوا على الشيعة من شيء، حتى هاجروا إلى أذربيجان شمال غرب إيران وأسسوا لهم «خانقاه»، وأعلنوا تشيعهم بعد الاحتكاك بالعراق والمشعشعيين وهم غوالي الشيعة، واختاروا الشيعة الغالية لأهداف سياسية في الحكم، وفرضوها بالقوة على جميع الشعوب التي تسكن مناطق نجد إيران، حيث كانت آنذاك يحكمها المذهب السني.

ويعتبر حمدالله مستوفى في كتابه «ملخص التاريخ»، أن مؤسس الصفوية شيخ صفى الدين لم يكن في البداية شيعياً، بل كان سنياً شافعيّاً رغم ما يشاع حول مذهبه، لكنه يعتبر المؤسس الأول للدمج بين التشيع والتصوف⁽¹⁹⁾.

كان سكان إيران يتبعون المذهب السني الشافعي والحنفي، حتى تمكن الصفويون، الذين كانوا في البداية شافعين، من إرغام الإيرانيين على تغيير مذهبهم إلى المذهب الشيعي، واستطاع جيش إسماعيل الأول وهو مؤسس الحكومة الصفوية الانتشار في المناطق الوسطى العام 1504 ثم سيطر على جنوب غرب إيران الأحواز بعد هزيمة المشعشعيين. فقد تأسست سلالة الصفويين في البداية على قاعدتين: الأولى

(19) تاريخ جزيده، ص 92 Gozideh History.

المذهب الشيعي، والثانية العرق الفارسي، رغم أن الصوفيون الأوائل لم يكونوا في البداية لا شيعة ولا فرساً، بل كانوا صوفيين وأكراداً⁽²⁰⁾.

فهناك عدة أسباب وراء تحويل إيران إلى دولة شيعية، تحويل إيران الصوفية إلى شيعية لتكون مختلفة عن الدولة العثمانية السنية، ذات القوة العسكرية القوية، التي تحدها في الحدود الغربية. وهي: وجود صراع طويل مع الإمبراطورية العثمانية، وخوضها حروب عديدة الصوفيين، مما جعل إسماعيل الأول أكثر إصراراً على خلق هوية مختلفة وخشيتهم من تكوين طاوور خامس من السنة، الذين سيبغون العثمانيين وكذلك رغبة الغرب والمسيحيين تحديداً، وأعداء الإمبراطورية العثمانية في إسقاط الأخيرة من خلال التحالف مع الصوفيين والتآمر معهم لإسقاطها.

فكل معالم الحكم الصوفي من الجيش (قزلباش أصحاب القبعات الحمراء وهم صوفيون)، وتأسيس صوامع صوفية يقام فيها مجالس العزاء للأئمة الشيعية، وهي مزيج بين الفكر الصوفي والشيعي الغالي بالنسبة لأهل البيت، وتركيز معالم الدولة الصوفية من منطلق القومية (الفارسية-التركية الأذرية)، والدولة العصرية على أساس الأصول الشاهنشاهية الإيرانية، ومزجها بالمعتقد الصوفي في تقديس الشاه ووصفه بأوصاف دينية صوفية مثل «الصوفي الكبير»، و«خليفة الخلفاء». لكن بعد فترة من تحول الصوفية إلى كيان سياسي، ودب الخلاف بين التصوف والصوفية، وحدثت نزاعات كبيرة تسببت في اعتقال المشايخ الصوفية، وإعدام عدد منهم. ويعود ذلك أساساً إلى النزاع على الملك، ولكن رغم ذلك ظل الصوفيون يحتفظون بالمذهب الشيعي الإثنى عشري ذي الطبعة الصوفية على أنه مذهب الدولة الرسمي.

يجب أن نعي أن التصوف السياسي لم يبدأ بالصوفيون، بل كانت هناك حركات سبقتهم في حكم إيران بنزعة صوفية مثل «سربداران» و«مرعشيان» في

(20) R.M. Savory. Ebn Bazzaz. Encyclopedia Iranica. Encyclopaedia Iranica. R. N. Frye. Peoples of Iran. RUDI MATTHEE. «GEORGIANS IN THE SAFAVID ADMINISTRATION» in Encyclopedia Iranica. Anthony Bryer. «Greeks and Türkmens: The Pontic Exception». Dumbarton Oaks Papers. Vol. 1975. 29. Appendix II - Genealogy of the Muslim Marriages of the Princesses of Trebizond.

و أخيراً ... المفارقة بين التشيع والتصوف

على الرغم ما أشير إليه من روابط بين التشيع والتصوف، وتوثيقها بمستندات إلا أنّ هنالك الكثير من المفارقات التي تحتم علينا عدم الربط الكلي بين التصوف والتشيع، ورغم أنّ الأئمة الإثني عشر لدى الشيعة هم الأئمة أنفسهم، الذين يحتفي بذكرهم الصوفيون، إلا أنّ الشيعة هم أكثر الطوائف الإسلامية التي رفضت بشكل قاطع التصوف في كتبها⁽²¹⁾. وتوجد الكثير من الأحاديث لدى الشيعة تشير إلى رفض أئمتهم لكل ما هو صوفي⁽²²⁾، والعكس أيضاً صحيح لدى الصوفيين⁽²³⁾، هنالك عدد كبير من الأسماء التي وردت في الكتب الشيعية، وهي تتهجم على التصوف وأعمالهم وطقوسهم مثل ابن بابويه (المتوفى السنة 381) في كتاب الاعتقادات (صفحة 121) مشيراً إلى أنهم غلاة ويستبيحون الحرام.

وفي كتاب «الرد على أصحاب الحلاج» لمؤلفه نجاشي (2 ص 330) يشير الفقيه الشيعي محمد بن حسن الطوسي (المتوفى 460)، وأيضاً في كتابه «الغيبة» (ص 246-247) إلى أنّ الحلاج كان من المدعين الكاذبين بخلافة الإمام الشيعي الثاني عشر، وهو بحكمهم غاب الغيبة الكبرى منذ صغره، كما أنّ أبا منصور أحمد بن علي الطبرسي في كتاب «الاحتجاج» (ج 2 ص 474)، وخواجه نصير الدين الطوسي (متوفى 672) في كتاب «قواعد العقائد» (ص 22 و 36.35)، ينفي عقائد الصوفيين حول قضايا «الاتحاد والحلول، إسقاط التكليف، السماع والرقص. ويعتبر أحد الكتب القديمة لدى الشيعة، وهو تبصرة العوام في معرفة مقالات الأنام» (علم الهدى، ص 134) على أنّ التصوف يعود للمذهب السني وليس الشيعي.

وهناك الكثير من المؤلفات، التي تتحدث عن الصوفية وعلاقتها بالتشيع⁽²⁴⁾،

(21) سيد حيدر آملی، ص 128.

(22) الرجوع لـ العليّني 6 ص 450.449؛ محمد باقر مجلسی، 1403، ج 5، ص 318؛ عباس قمی، ج 2، ص 57 - 58.

(23) معصوم علي شاه 1 ص 212.

(24) Mehdi Amin Razavi, Suhrawardi and the school of illumination, Richmond, Eng. 1997;

في حين يرى الباحث فلاح بن إسماعيل بن أحمد في كتابه «العلاقة بين التشيع والتصوف»: أن التشيع والتصوف لم يكن لهما أي وجود في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنها مما أحدث وطراً على الإسلام، فالتشيع نشأ تحت ستار محبة أهل البيت، والتصوف نشأ على أيدي أناس من الشيعة اندسوا في صفوف الزهاد والعباد والصالحين؛ لتحقيق أهدافهم، فالتشيع والتصوف قد اشتركا في التستر والتظاهر والعمل تحت مظلات أصول دينية شرعية.

ويضيف بأن التشيع والتصوف يشتركان في كثير من المناهج التعليمية والطرق التربوية المتبعة في تربية أفرادهم، فقد اعتمد كل فريق منهم على الدعاوى، وجعلوا منها أدلة ونصوصاً يستدلون بها على أنها وقائع تاريخية. كما اشترك الشيعة والصوفية جميعاً في الأخذ بمبدأ التقية في دينهم، ذلك المبدأ الذي وجدوا فيه الملجأ والمنجاة لجميع فضائحهم وقبائحهم، والمنقذ لهم مما يقعون فيه من أخطاء وتناقضات. واشتركا في موقفهم الخبيث من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحاربوا أهل الحق، ووصفوهم بأقبح الأوصاف⁽²⁵⁾.

إن الولاية هي المحور الذي قد ينشب حوله الخلاف أو الاتفاق بين التشيع والتصوف؛ ولأن التشيع يعتبر الولاية على أنها شيعية، لا تنتمي لأي تيار غير الشيعة، فمن آمن بالولاية يعتبر شيعياً ومن رفضها فقد خرج من تحت العباءة الشيعية. من هنا أصبح حديث الولاية لدى الشيعة والصوفيين يأخذ جل اهتمامات الباحثين، على أنه يمكن أن يوحد أو يفرق بينهما. لكن وبسبب أن الشيعة تعتبر الولاية من اختصاصها، وهي تعود بها إلى علي بن أبي طالب وأولاده، ومن بعده ولي الفقيه وحقه في الخلافة للرسول، هي النقطة الأخيرة التي أنشأت فكرة الولاية لدى الشيعة. غير أن الولاية لدى أقطاب التصوف تختلف عند الشيعة، رغم اتفاقهما على أن الولاية الأولى لعلي بن أبي طالب دون غيره، إلا أن ذلك لا يعني أن تذهب الولاية الأخيرة لدى التصوف لـ «لولي الفقيه» الشيعي، بل تعود للقطب الصوفي.

Nasrollah Pourjavady. Opposition to Sufism in Twelver Schiism. in Islamic mysticism contested: thirteen centuries of controversies and polemics. ed. Frederick de Jong and Bernd Radtke. Leiden: Brill. 1999

(25) رجوع: فلاح بن إسماعيل بن أحمد « كتاب - العلاقة بين التشيع والتصوف

من هنا يشتد الخلاف الشاسع بين التشيع السياسي الحاكم في إيران وبين التصوف الذي لا يؤمن بولاية الفقيه؛ وهذا الاتهام كلف التصوف الكثير من المواجهة مع النظام الشيعي الحاكم في إيران، رغم أنه نظام قد فسر ولاية الفقيه بصورته الـ «صفوية»، وهي مزيج بين التشيع والتصوف الصفوي، فقد عارضت الصوفية مبدأ التشيع الصوفي الإيراني الحاكم بمعظم تياراتها، إلا أولئك الصوفيون القلائل الذين ارتأوا الانقياد للتشيع الصوفي الإيراني الحالي تحت عنوان «العرفان الشيعي»، وقضية الخلاف على الولاية من شأنه أن يضع نقطة فارقة بين التشيع والتصوف في تفسيرهما للولاية، والحكم رغم التقارب الكبير بينهما على الكثير من النقاط إلا أن التشيع كمذهب يبقى متحدياً الطريقة الصوفية التي أعطته الشرعية السياسية في الحكم زمن الصفويين ونظام ولاية الفقيه الحالي.